الثورة

Thu 16 Sep 2004 .. 2/8/1425 - No ، (14554)

الخميس ٢شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٦سبتمبر ٢٠٠٤م العدد (١٤٥٥٤)

ومضات من قلب التغيير

المدن اليمنية تنهض من تحت الركام

إب

■ ،، حينما نستنطق مدينة إب يسترجع الزمان ذاكرته الخصبة .. وتسهب الأماكن في حديثها النابع من قلب التغيير الذي أشرق في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م .. ويقرأ انسانها البسيط فصولاً وذكريات ارتبطت بأمكنة نهضت من تحت ركام التخلف والجهل وصارت تشهد التحول والتجدد والاضافات الإنجازية عاماً بعد عام..

استطلاع/معين النجري

من «الأنة الأولى»

● أطلق أنتـه الأولى في وجـه الحاكم لينهي بها فصلاً من الصمت وتحـمل الجـور ثم فـر القـاضي عبدالسلام النزيلي خوفاً على حياته إلى لحج ليعينه سلطانها قاضياً فيها. حدث ذلك في نهاية الثلاثينيات حين كان الخوف سوطاً مسلطاً على جميع أبناء الوطن لا يجرؤ أحد حتى على الأنين لكنها لم تكن مجرد «أنّة» كما اسماها القاضي النزيلي بل كانت صـرخـة دوت في مناطق إب وظل صداها يتسلل إلى بيوت الفقراء ويشارك القضاة والعلماء مجالسهم ويقاسم المشائخ هموم الرعـية وآحوالهم. زرعت الحياة في العروق وأيقظت الإنسان في أجساد البشر.

ولقد كان لطبيعة عمل القاضي النزيلي دور في التأثر والتأثير حيث جعلته قريباً من الناس البسطاء يعايش همومهم ويتذوق جرعات من الظلم الواقع عليهم دون أن يدركوا ذلك. قاوم الوضع كثيراً وحين عجز عن التغيير بالاقناع أطلق صرخته ورحل بعد أن بذر الثورة في النفوس.

لم تمر بضع سنوت حتى نمت وتفرعت وأصبح لها تكوينات أكثر تنظيماً ونشاطاً حيث اخترق ضوؤها أسوار الظلام في الذوات وبصر الكثيرين بحجم الظلم الواقع عليهم وأنار لهم طريق الخروج من السرداب المظلم وإعطاء الكثيرين من أبناء المحافظة الثقة بإمكانية تغيير الوضع إلى الأفضل ولو على مراحل.

تطلعات القاضي النزيلي

كان من أول إفرازاتها تشكيل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول الشيخ محمد قاسم العنسي وهو واحد من الشباب الذين عاصروا الثورة «لقد كان يرأس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العلامة محمد بن علي الأكوع وعضوية القاضي عبدالرحمن الارياني والقاضي أحمد بن علي العنسي والقاضي عبدالكريم العنسي وعبدالله بن علي وقاسم بن يحيى العنسي والشيخ عبداللطيف بن راجح والشيخ حسن بن علي الدعيس الذي كان يلقب بـ«فيلسوف اليمن» وعدد من المشائخ والقضاة» وحين أدرك أعضاء هذه الهيئة أنهم لا يعملون بمفردهم وأن هناك وطناً كبيراً يتحرك سعوا إلى التواصل مع أمثالهم في المدن الكبيرة فكان التواصل مع الحركات الوطنية في صنعاء عن طريق القاضي عبدالسلام صبره وفي تعز مع الأستاذ النعمان. هذه الهيئة لم يكتب لها مديد العمر فقد شعر سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى بتحرك بعض العلماء والقضاة في إب حيث كان والياً عليها. واعتقل الكثير منهم وسلمهم إلى سجن حجة عام ١٩٤٣م وكان على رأسهم القاضي عبدالرحمن الارياني والقاضي عبدالرحمن المعلمي والقاضي عبدالكريم العنسي والكثير من العلماء والقضاة والمشائخ ليقضوا في ذلك السجن ثلاث سنوات ..حينها كانت المدينة تعيش حراكاً سرياً يقوده مجموعة من الشباب من أبناء القضاة والمشائخ ويوزعون المنشورات التي عرفتها إب في الأربعينيات وما زال لها صدى إلى يومنا هذا لكن الكثير منهم ذهبوا إلى السجن عند فشل ثورة ١٩٤٨م وبعضهم لم يعد. معظم الناس في إب يعرفون الكثير من المعلومات عن أولئك الناس ويصنعون أبناءهم في مكان يليق بما قدمه آباؤهم واجدادهم وهم يحترمون ذلك كثيرا.

إذاعة صوت العرب

حين وصل خبر ثورة ٢٦ سبتمبر إلى إب سارع الناس إلى تأييدها والتواصل مع القيادة في صنعاء وإسقاط الملكية في المدينة. قال العنسي «لقد كان يردد الملكيون في إب أن الإذاعة التي تبث أخبار الثورة والأشعار الحماسية هي صوت العرب من القاهرة وقد قمنا بإبلاغ الثوار في صنعاء ليكشفوا ذلك للمواطنين» رغم أن حال إب كان كحال كل المدن اليمنية .. خائرة القوى ضعيفة البنية حينها إلا أن أبناءها هبوا لمساندة الثورة والتحق ما كان يسمى بالحرس الوطني أكثر من خمسين ألف شاب منهم من استشهد ومنهم من عاد..

يقول الشيخ عبدالعزيز الحبيشي المناضل المعروف ومستشار رئيس الجمهورية «لقد شارك الكثير من أبناء إب في فك حصار السبعين يوماً عن صنعاء وارسلوا قوافل تلو القوافل من الرجال لتحصينها». ومثلما كانت إب داعماً أساسياً لثورة سبتمبر كانت أيضاً سنداً قوياً لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م حيث كانت تقدم لهم الدعم باعتبارها إحدى البوابات الشمالية وكانت تأوي الملاحقين من المناضلين وتعد المهاجمين .إب نفضت غبارها بانتفاض الثورة وخلعت أثوابها البالية وسابقت الزمن في البناء ،إب الحديثة خالية من كل أسقام الماضي وفتحت كتاباً جديداً في كل مجال من مجالات الحياة.

اللمبة الوحيدة

من أي تل مجاور لهذه المدينة المحصورة خلف سور يحصنها حتى من الشياطين .. كان يمكن أن ترى في ظلمة الليل دارا واحدة تسكنها الأضواء لساعات معدودة ثم تنطفئ لتختبئ المدينة في عباءة الليل إلى أن تأتي الشمس من علياء الجبال الشاهقة المحيطة بها .. تلك الدار هي دار القاضي أحمد السياغي نائب الإمام في مدينة إب والذي تولى المدينة في منتصف الأربعينيات، لقد كان شغافاً بين الناس في إب أن القاضي السياغي هو أول من أدخل الكهرباء إلى اليمن وقد كان تبديد الظلام بتلك المصابيح المربوطة بخيوط إلى مولد كبير له صوت غريب؛ شيء يستدعي العجب ويخلق القصص والحكايا .. الحال ظل على ما هو عليه إلى بعد اندلاع الثورة واستقرار الأوضاع في اليمن حيث كان ايصال الكهرباء إلى مدينة إب من الخيرات الأولى لثورة السادس والعشرين من سبتمبر وبعد بضع سنين أصبح لأي مواطن الحق في تبديد ظلمة ليله والسكن إلى أهله بعيداً عن اشباح الظلام وروائح المصابيح الزيتية القديمة رغم كثافة السكان والمساكن في إب وأريافها إلا أن مشروع الكهرباء يصل إلى معظم مناطقها ابتداء من أعلى القفر ويريم في حدود محافظة ذمار إلى مذيخرة والسياني وغالبية ريف إب ،حيث تقول آخر الإحصائيات المستقاه من مؤسسة الكهرباء أن عدد المساكن المضاءة بالكهرباء حتى نهاية عام ٢٠٠٣م بلغت ٨٦٧٣٩ مسكناً والطاقة المولدة من الكهرباء بلغت حتى ذات التاريخ ١٥٩٨٩٤٦٧٢ ك.و.س المرسلة K.W.H وبلغت نسبة المشتركين في المدن ٧٥٪ وفي الأرياف ٢٥٪.

مجيء الفرج

كانت تصنف إب مدينة فقط لأنها مركز المحافظة رغم صغرها حيث كان عدد منازلها تتجاوز المائة برقم بسيط ولا أحد يجرؤ على البناء خارج أسوارها أو تحت تلك القبة التي قضي أن تكون المدينة على قمتها، هذا الحال ظل لسنوات طوال حكمتها ظروف معينة وافرازات لوضع هكذا كان. مدينة إب واقصد هنا المدينة القديمة المحصورة بالسور وظهور المباني المرتفعة استنفدت كل المساحات التي كان يمكن أن يبنى عليها وهذا ما جعل الناس يلجأون للتوسع الرأسي.

إب لم تتحمل ذلك الجور وضاق الناس بضيق المباني والشوارع مع ضيق الحال وتحمل ظلم الوضع المفروض عليهم بشكل عام. لكن ذلك لم ينتج أي توسع حتى انكسر الطوق بفجر يوم الثورة وجاء الفرج، حينها انكسرت الأسوار المعنوية التي أجاد الحكام صنعها في نفوس البشر. قال أحمد الحميري- رجل مسن عاش في عصرين- «إن البيوت كانت تحوي في بعض الأحيان ثلاث أسر مع أطفالها» بعد الثورة استطاع الناس أن يشتموا رائحة التراب خارج أسوار المدينة وانطلق الجميع يحفرون ويبنون بأمان بعيداً عن الخوف من غضب الوالي أو عسكر الإمام.

شبت «إب» تلك التي كانت الطفلة الهزيلة لتصبح صبية تشغف الناظرين ويهواها جميع من وقع بصره عليها أو سمع عنها.

إب التي أصبحت مزاراً سياحياً تتحرك كل يوم وتنمو باستمرار بينما ظلت إب القديمة شاهداً حياً على عصور الانغلاق والتحكم.. وشهد قطاع الأشغال نهضة عمرانية ملفتة حيث تقول أرقام هذا القطاع في إب أن عدد رخص البناء في عام ١٩٩٩م بلغ ٤١٢ رخصة بناء وفي عام ٢٠٠٣م وصل عدد رخص البناء إلى ١٨٦٥ رخصة.

تضاهي غيرها

إب رفضت أن تظل منشدة إلى الماضي فانطلقت اذرع البناء في كل الاتجاهات وبكل الأشكال لتصبح مدينة مدنية حديثة وتشهد كل يوم نهضة عمرانية تضاهي بها غيرها..

وعادت الطيور التي هاجرت منذ زمن ممن ترك مدينته أو قريته في عصر الحكم الإمامي هرباً من الظلم

❑ خمسون ألف شاب يجندون أنفسهم لحماية الثورة في لحظاتها الأولى .

❑ كانت الكهرباء أول خير سبتمبر وتوسع العمران كسر الطوق القديم .

❑ التعليم والصحة .. أشياء من لا شيء..